لم أجتل أروع من ذلك الرسم . . . فيه يتآلف سمو الفن. وواقع الحياة . . . أليست الأم هى ذلك النبع الفياض يتفجر منه رحيق الحياة ؟ . . أو ليس وليدها ذلك الجدول الرقراق. يحمل معنى الفتوة ، وينشر فى مداره ومجراه روح الخلود . . . ؟

وعقبت سيدة البيت ، وهى تزجى ضحكة لينة عابثة :

مرحى لك ياسيدى الفيلسوف ! . . . ماذا يفيد ذلك النبع الفياض وهو يجود برحيقه على الجدول الرقراق ؟ . . أكذوبة العيش ، وخدعة الدنيا . . . ليس جدولك الرقراق إلا نذير الاضمحلال والضعف والفناء لذلك النبع المسلوب . . . أهذا معنى الخلود ياسيدى ؟ . . .

فقال لها محدثها ، ومازال رانيا إلى جدار البهو ، ينفث دخان لفافته ، فتتعقد فى سماء الحجرة غلائل من سحب لا تلبث أن تفنى :

لاشك عندى سيدتى أن كل امرأة تحيا فى باطن نفسها ماتحياه على مطرح أنظارنا تلك الأم الفخور . . . ألم تفطنى إلى ما يتوضح على محياها من رفاهة ونعيم ؟ . . إنها تتوسم فى هذا الغصن الرطب عمرا جديدا لها تتمثل فيه نضرة الربيع وشباب الحياة .

انظرى إلى عينها تتلألأ ، إلى وجهها يتطلق ، إلى بسمة على ثغرها تكشف عن ثقة ورضا واطمئنان . . . هـــذه هى رسالة